من قضايا القرآن

الكتاب الثالث

القرآن

نظمه - جمعه - ترتيبه

تأليف

عبد الكريم الخطيب

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ * الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ مالكِ يومِ الدِّينِ * إيَّاكَ نَعبُدُ وإيَّاكَ نَستَعِينُ * إهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أنعَمتَ عَلَيهِمْ * غَيرِ المَغضُوبِ عليهم وَلاَ الضَّالِّينَ . آمِينَ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا ، قيماً ، لينذر بأساً شديداً من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ما كثين فيه أبداً » . . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، محمد بن عبد الله ، السراج المنير ، والرحمة المهداة ، وعلى آله وصحبه والمؤمنين . . وبعد :

— ١ —

فهذه وقفات بين يدى آيات من كتاب الله ، كانت كل آية منها مدخلاً إلى قضية من قضايا الرأى بين علماء القرآن ، حيث تعددت المفاهيم لها ، وتواردت الأنظار عليها ، وكثرت الأقوال فى تأويلها ، دون أن ينتهى ذلك إلى حكم يقبله المسلمون جميعاً ، أو يرضونه فهماً محدداً لها ، الأمر الذى اقتضى أن يجعل مثل هذه الآية أو الآيات محلّ نظر واجتهاد فى كل جيل ، من أجيال المسلمين ، وعند كل ذى نظر من علمائهم وفقهائهم . . وهكذا يضاف كل يوم جديد من الآراء والمفاهيم للآية أو الآيات التى أشرنا إليها ..

وأقرب مثل لهذا قضية « النسخ » فى القرآن ، والتى كانت الآية الكريمة : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير » — مستنداً للقائلين بالنسخ ، كما كانت الآية نفسها مستنداً لدفع القول بالنسخ ، وسيلقاك عرض هذه القضية — قضية النسخ — أول هذا الكتاب ، وسترى كيف تشكّل من « النسخ » — إثباتاً ونفياً — قضية من أكبر القضايا

فى الدراسات القرآنية ، وفى الأحكام الفقهية المترتبة على القول بنسخ آية كذا ، أو عدم نسخها . .

— ٢ —

وليس هذا الخلاف بين علماء القرآن فى تأويل بعض آيات القران الكريم، وامتداد هذا الخلاف ، واتساع آفاقه - بالأمر الذى تنكره الدعوة الإسلامية ، أو تضييق به شريعة هذا الدين ، بل إن الإسلام ليحترم هذا الخلاف . ويتقبله بالقبول الحسن ، إذا كان ذلك عن اجتهاد خالص ، مجرد عن الهوى، وعن رغبة صادقة فى الوصول إلى الحق ، وابتغاء الاهتداء بهديه ، والاستضاءة بنوره .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر » ..

إن الإسلام يُسقط من حساب الإنسانية كل من لا يحترم عقله ، ولا يتخذ منه قوة مستبصرة ، يرى بها الأمور ، ويزنها بميزانه . . فإذا ورد على الإنسان أمر كانت دعوة الإسلام إلى هذا الإنسان ، أن يردّ هذا الأمر إلى عقله ، وأن يحتويه بملكاته ، ومدركاته ، وألا يكون إمّعة ينقاد لغيره فى استسلام ذليل كما تنقاد الأنعام ! وقد نعى الله تعالى على أهل الضلال ارتكاسهم فى هذا الضلال ، الذى غشيهم بسبب استصغارهم لأنفسهم ، واستخفافهم بعقولهم ، وإسلام مقاودهم لغيرهم ، فقال تعالى : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون . . إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً » (٤٤ : الفرقان) .

— ٣ —

وإذن ، فمرحىً مرحى ، بهذا الخلاف المتشعب المتصل ، حول الكثير أو القليل من آيات القران الكريم . . إنْ كلّ رأى من تلك الآراء المختلفة ، والمتباعدة أو المتقاربة فى هذا الاختلاف ، هو ثمرة من مجانى القرآن الكريم التى

لا تنفد أبد الدهر ، وإذا الناظر فى آية آية من كتاب الله ، وفى وجوه الرأى الواردة عليها ، بين يدى مائدة حافلة بما عليها من صنوف الفواكه ، وأطايب الثمرات ، وإذا هو يطعم من تلك المائدة مما يطعم منه أهل الجنة من فاكهة الجنة : « كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، وأُتوا متشابها » .

— ٤ —

وهذه المباحث التى نعرضها « من قضايا القرآن » — ليست استعراضاً لوجوه الخلاف الدائرة حول كل قضية ، من تلك القضايا ، وإنما هى مناقشة لهذا الخلاف عليها ، بل ومحاكمة « غيابية » لها ، وفصل فيها !

ونعم ، إننا نأذن لأنفسنا ولعقولنا بمناقشة هذه الخلافات ، والحكم فيها بالقبول أو الردّ ، غيرَ ملزمين أحداً أن يأخذ بما نقضى به ، بل إننا فى الوقت نفسه نضع هذا الذى نقضى به موضع المناقشة والمحاكمة ، إن صح أن يكون موضع مناقشة ومحاكمة !!

وهذا يعنى أننا لا نبغى بهذه المباحث غلق أبواب الخلاف ، وسدّ منافذ الجدل فى هذه القضايا ، بقدر ما نقصد إليه من فتح هذه الأبواب وتلك المنافذ على أوسع مدى ، فذلك هو الذى يُلقى مزيداً من الضوء على هذه القضايا ، ويفتح للناظرين فيها مسالك جديدة للنظر ، تُدنى من الحقّ ، وتقيم الوجوه عليه ..

إن القرآن الكريم مأدبة الله ، كما يقول الرسول الكريم ، ومن شأن هذه المأدبة ألا ينفد شىء مما عليها ، ولا ينقص منه شىء ، بل إن ما عليها ينمو ، ويزداد ، بكثرة الواردين المترددين .. « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّى ولو جئنا بمثله مدداً » (١٠٩ : الكهف) .

وإن المؤمنين ليطعمون من مائدة القرآن مايطعم أهل الجنة من ثمرات الجنة .. « كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، وأوتوا به متشابها » (٢٥ : البقرة) .

— ٥ —

ولست أريد أن أقف طويلا معك ، أحدثك عن منهج هذه المباحث ، وحسبى أن أقول لك إن أضواء آيات الله وكلماته هى التى كانت الدليل الهادى لى خلال تلك المسيرة الطويلة . . لم أحاول قط أن أخطوَ خطوة إلا وعينى على هذا الدليل ، تقفو أثره ، وتتبع إشارته .. هذا ما وطنت عليه نفسى ، وأقمت عليه نيتى ، من أول هذه المسيرة .. فإذا وقع فى هذا العمل خطأ أو قصور ، فذلك من عوارض الطبيعة البشرية ، التى يلحقها الفتور وينال منها الإعياء ، فتتعثر ، وتنحرف ، وإن كان الطريق ، واضحاً مستقيماً .. « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

* * *

وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه والمؤمنين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » .

القاهرة فى { رمضان سنة ١٣٩٢ هـ
أكتوبر سنة ١٩٧٢ م

المؤلف